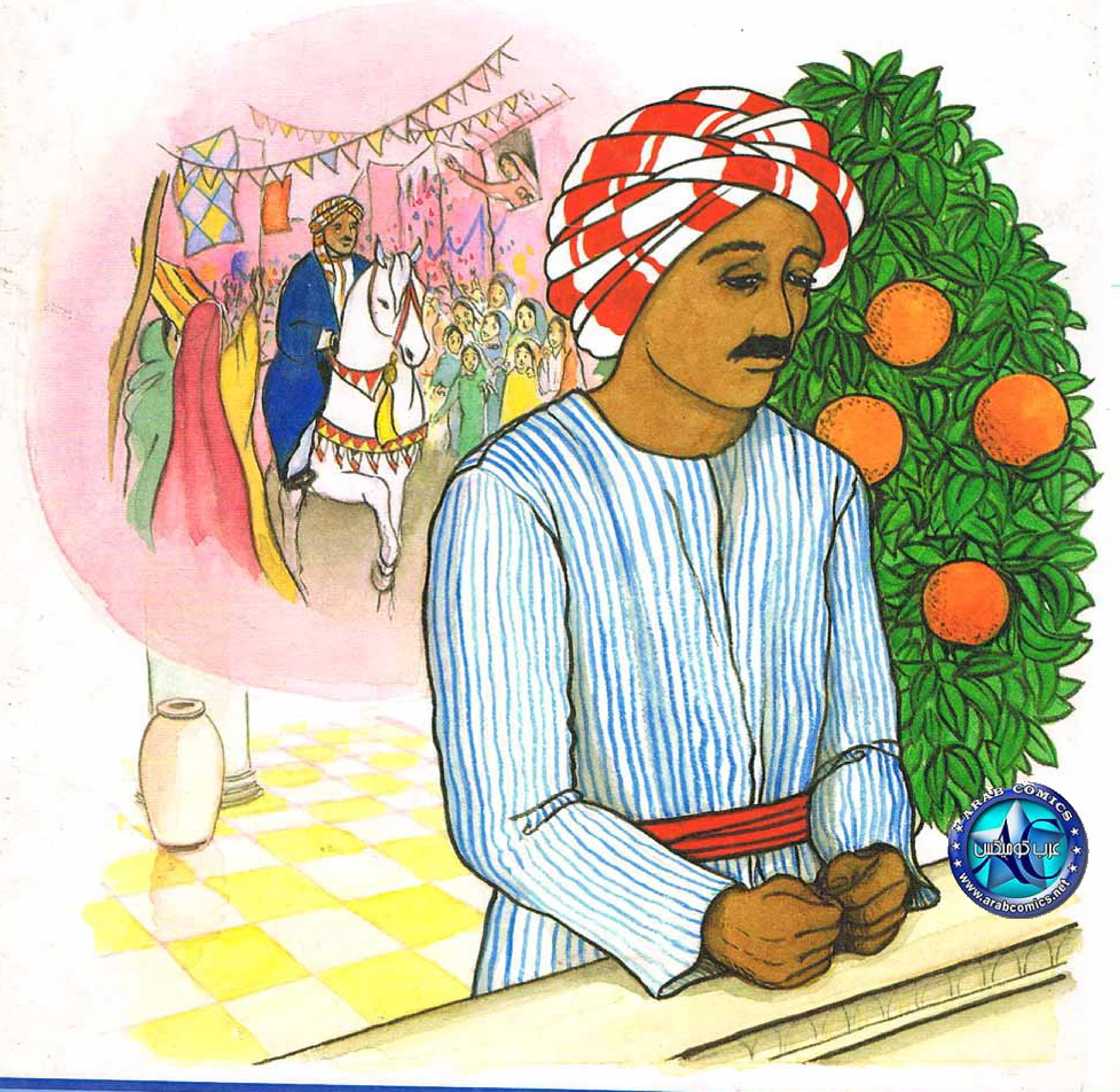
كتب الفراشة - حكايات محبوبة

البابُ الممنوعُ



هٰذِهِ «حِكاياتٌ مَحْبوبَةٌ» رائِعَةٌ يُحِبُّها أَبْناؤُنا ويَتَعَلَّقونَ بِها. فالصِّغارُ مِنْهُمْ يَتَشَوَّقونَ إلى سَماعِ والِدِيهِمْ يَرْوونَها لَهُمْ؛ والقادِرونَ مِنْهُمْ على القِراءَةِ يُقْبِلونَ عَلَيْها بِلَهْفَةٍ وشَوْقٍ، فيَتَمَرَّسونَ بِالقِراءَةِ ويَسْتَمْتِعونَ بِالحِكايَةِ. وهُمْ جَميعًا يَسْعَدونَ بِالتَّمَتُّعِ بِالرُّسومِ المُلَوَّنَةِ البَديعَةِ الَّتي تُساعِدُ على إثارَةِ الخَيالِ وتَكْمِلَةِ الجَوِّ القَصَصِيِّ.

وقَدْ وُجِّهَتْ عِنايَةٌ قُصْوى إلى الأَداءِ اللُّغَوِيِّ السَّليمِ والواضِحِ. وطُبِعَتِ النُّصوصُ بِأَحْرُفٍ كَبيرَةٍ مُريحَةٍ تُساعِدُ أَبْناءَنا عَلى القِراءَةِ الصَّحيحَةِ.

كتب الفراشة - حكايات محبوبة

البابُ الممنوع

إعداد: ناديا ديب

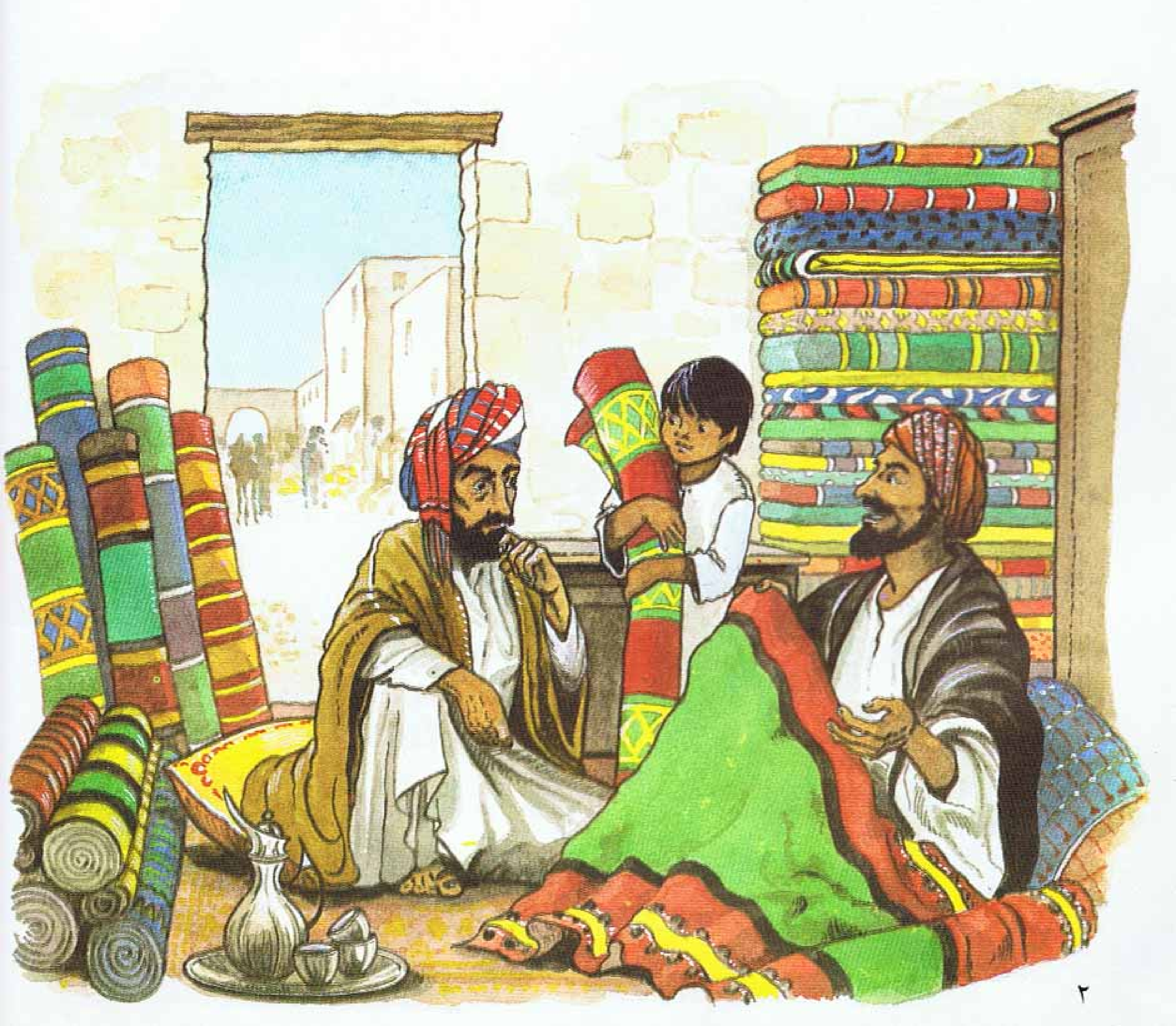


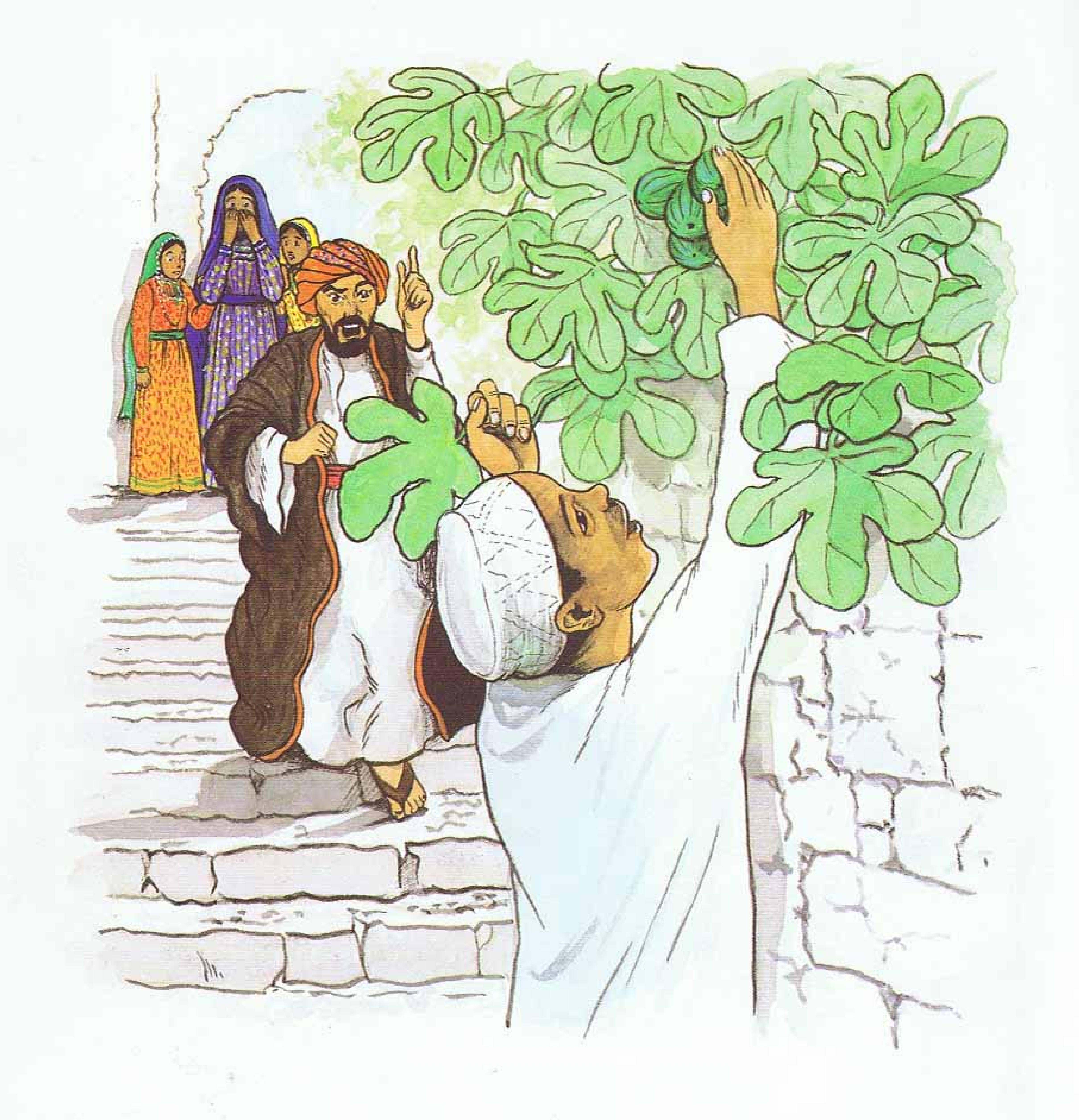
مكتبة لبنان ناشرون

فِي قَديمِ الزَّمانِ، كانَ يَعيشُ في مَدينَةِ دِمَشْقَ الْفَيْحاءِ وَلَدٌ اسْمُهُ إبْراهيمُ.

كانَ والِدُ إبْراهيمَ تاجِرًا ثَرِيًّا حَكيمًا يَبيعُ أَفْخَرَ الثِّيابِ وَأَغْلاها ثَمَنًا. وَكانَ يَتَرَدَّدُ عَلى دُكّانِهِ النُّبَلاءُ وَالْأَثْرِياءُ يَشْتَرونَ الْحَريرَ وَالْأَقْمِشَةَ الْمُوَشّاةَ بِالذَّهَبِ.

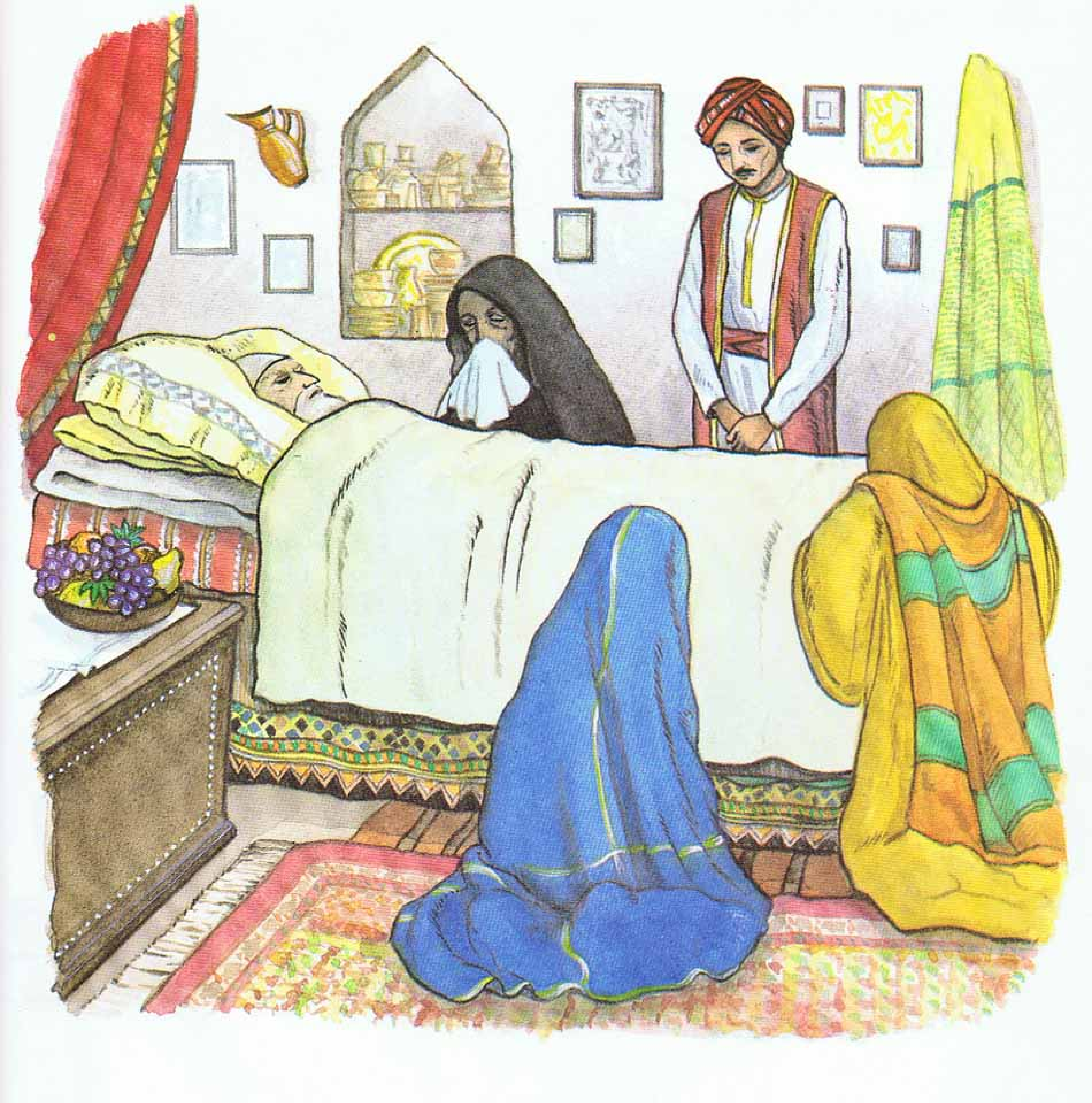
وَكانَ إبْراهيمُ كَثيرًا ما يَجْلِسُ في دُكّانِ أَبيهِ يُراقِبُ الْأُمَراءَ وَالْوُزَراءَ وَالْوُلاةَ وَالْقُضاةَ، وَهُمْ يَشْرَبونَ الْقَهْوَةَ وَيَخْتارونَ ما يُعْجِبُهُمْ مِنْ قُماشٍ.





وَهٰكَذا تَرَعْرَعَ إبْراهيمُ في جَوٍّ مِنَ التَّرَفِ وَالْغِنى، مُحاطًا بِرِعايَةِ أُمِّهِ وَأَبيهِ وَأُخْتَيْهِ وَمَحَبَّتِهِمْ، فَكانَ فَتًى سَعيدًا مَرِحًا.

تَوالَتِ السِّنونَ، وَأَضْحى إبْراهيمُ فَتًى يافِعًا. لٰكِنَّ الْأَبَ الْكَهْلَ كانَ قَدْ لَمَسَ في تَصَرُّفاتِ ابْنِهِ شَيْئًا مِنَ الطَّيْشِ، وَأَقْلَقَهُ ذٰلِكَ كَثيرًا.



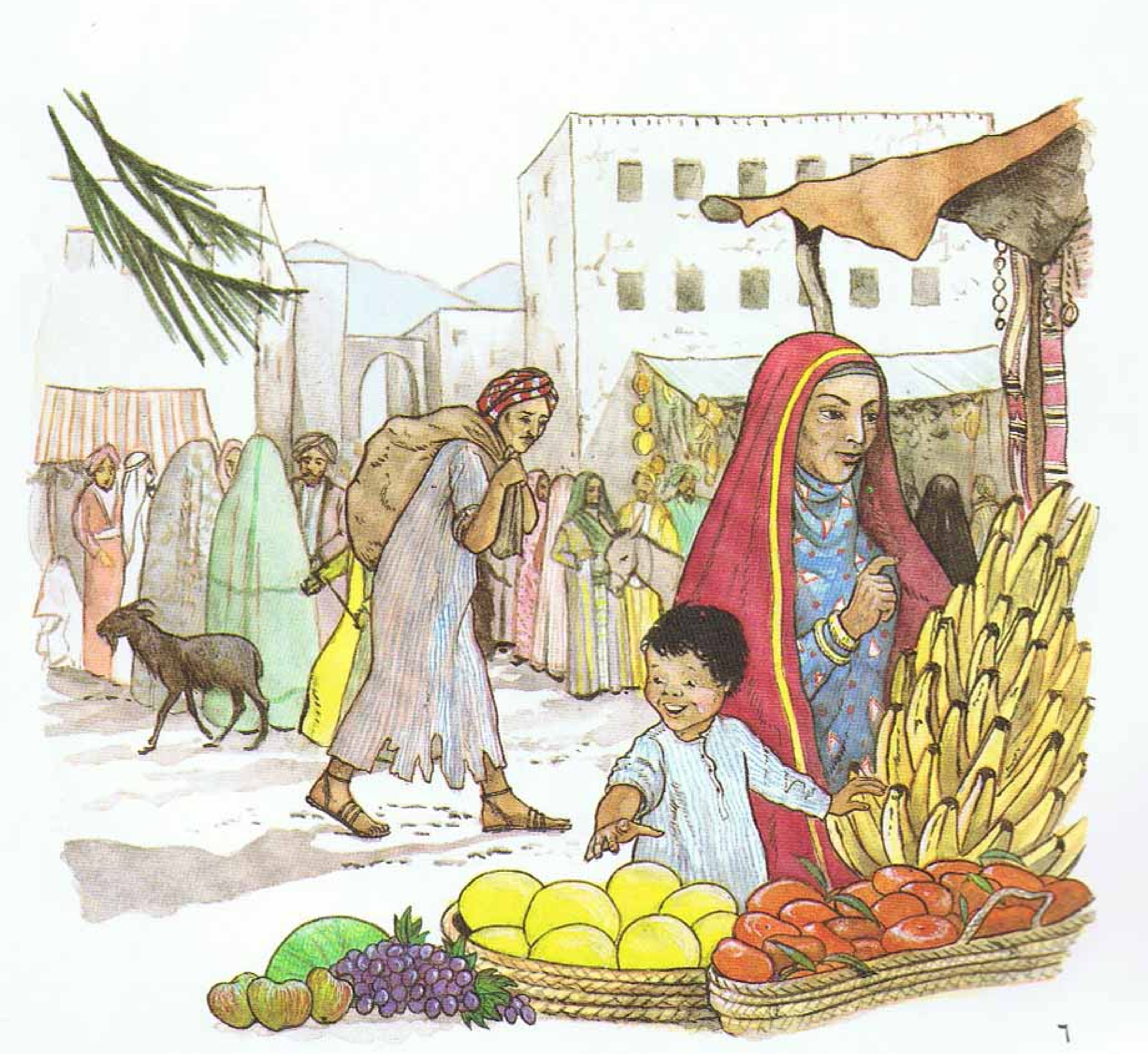
مَرَّتِ الْأَيّامُ، وَتُوُفِّيَ والِدُ إبْراهيمَ. وَكانَ قَدْ بَدا لِلشَّيْخِ الْحَكيمِ في أَواخِرِ أَيّامِهِ أَنَّ ابْنَهُ الشّابَّ كانَ لا يَزالُ عَلى شَيْءٍ مِنَ الطَّيْشِ. فَلَمْ يَطْمَئِنَّ أَنْ يَتْرُكَ لَهُ أَمْرَ رِعايَةِ أُمِّهِ وَأُخْتَيْهِ، فَخَصَّصَ لَهُنَّ حِصَّتَهُنَّ مِنَ الْميراثِ وَتَرَكَ الْباقِيَ لَهُ.

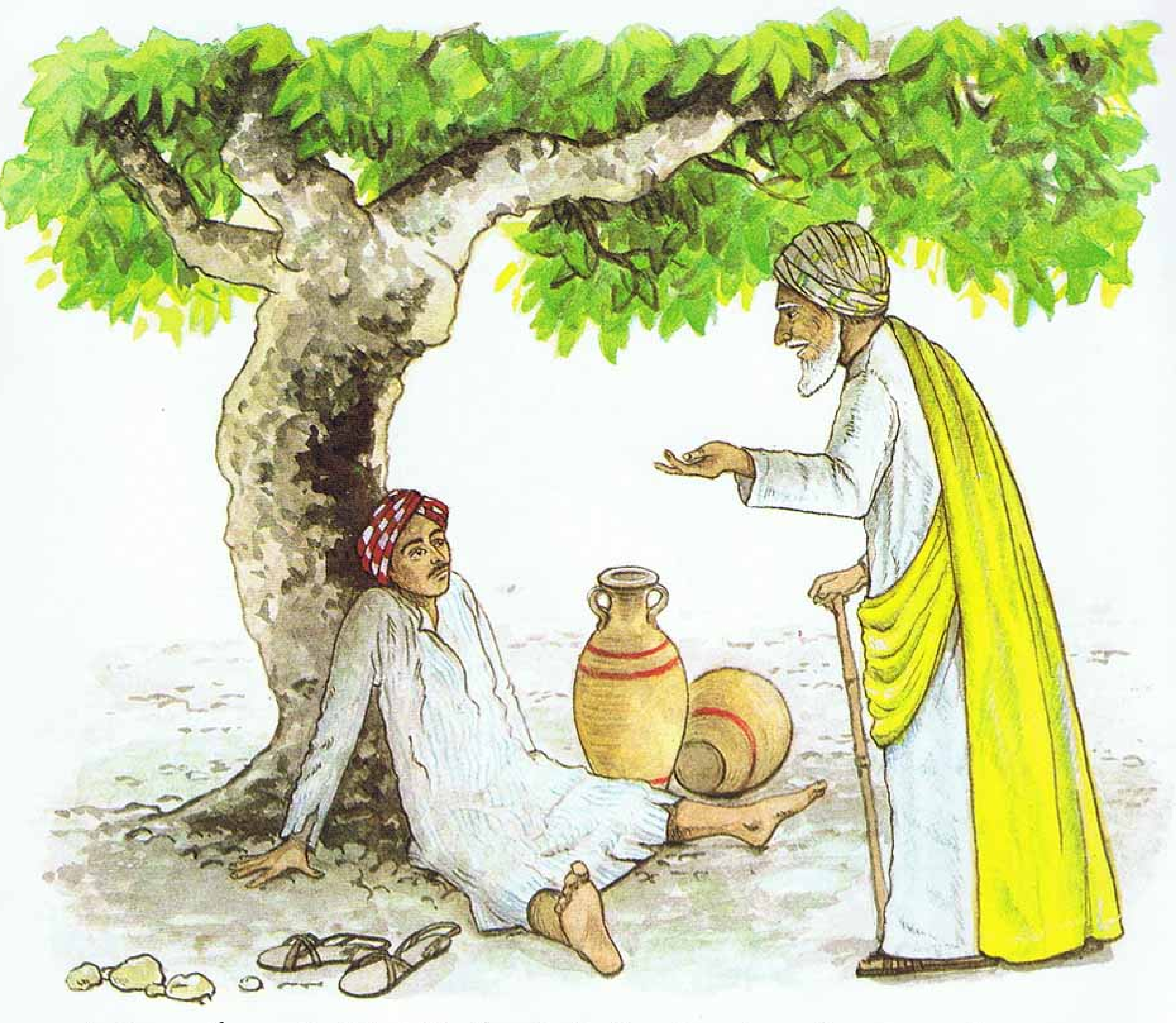
وَرِثَ إبْراهيمُ مالًا كَثيرًا، فَعَزَمَ عَلى أَنْ يَعيشَ عيشَةَ بَذْخ. بَنى قَصْرًا عَظيمًا، مَلَأَهُ بِالسَّجّادِ الْفاخِرِ، وَالْآنِيَةِ الْمُرَصَّعَةِ بِالْجَواهِرِ، وَصُحونِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ. وَدَعا رِفاقَهُ إلى مَآدِبَ عامِرَةٍ يُقيمُها كُلَّ لَيْلَةٍ في جَوٍّ غامِرٍ مِنَ الْموسيقى وَالطَّرَبِ.



وَسُرْعانَ ما وَجَدَ إبْراهيمُ نَفْسَهُ وَقَدْ أَنْفَقَ كُلَّ مالِهِ. فَباعَ سَجّاداتِهِ الْفاخِرَةَ، واحِدَةً بَعْدَ واحِدَةٍ. ثُمَّ باعَ آنِيَتَهُ الْمُرَصَّعَةَ بِالْجَواهِرِ وَصُحونَهُ الذَّهَبِيَّةَ وَالْفِضِّيَّةَ، وَأَخيرًا باعَ قَصْرَهُ الْعَظيمَ.

وَبَعْدَ حينٍ خَرَجَ إبْراهيمُ يَبْحَثُ عَنْ عَمَلٍ. لٰكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ حِرْفَةً مُناسِبَةً فَعَمِلَ حَمّالًا في السّوقِ حَيْثُ كانَ دُكّانُ والِدِهِ. وَكانَ الْعَمَلُ شاقًّا وَالْأَجْرُ قَليلًا.





وَفي يَوْمٍ قائِظٍ جَلَسَ إبْراهيمُ يَسْتَظِلُّ شَجَرَةً. لَقَدْ ظَلَّ طَوالَ النَّهارِ يَحْمِلُ جِرارَ الزَّيْتِ حَتّى أَنْهَكَهُ التَّعَبُ. وَفَجْأَةً اقْتَرَبَ مِنْهُ عَجوزٌ أَنيقُ الْهِنْدامِ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ عَمَلًا. قالَ:

« في مَنْزِلي عَشَرَةٌ مِنْ كِرامِ الرِّجالِ، وَلَيْسَ عِنْدَنا مَنْ يَرْعى شُؤونَنا في شَيْخوخَتِنا. نَدْفَعُ لَكَ أَجْرًا مُرْضِيًا وَعَلَيْنا الغِذاءُ وَالْكِساءُ. »

لَمْ يَتَرَدَّدْ إبْراهيمُ في قَبولِ ذٰلِكَ الْعَرْضِ الْكَريمِ، فَوَقَفَ وَانْحَنى احْتِرامًا، وَقالَ: « يا سَيِّدي، أَنا مُنْذُ الْآنَ خادِمُكَ. »



طَلَبَ الْعَجوزُ مِنْ إبْراهيمَ أَنْ يُرافِقَهُ. وَمَشى الاِثْنانِ في شَوارِعَ ضَيِّقَةٍ مُزْدَحِمَةٍ إلى أَنْ بَلَغا بابًا ضَيِّقًا مُنْخَفِضًا، فَدَخَلا فيهِ.

وَجَدَ إبْراهيمُ نَفْسَهُ في دارٍ جَميلَةٍ يَتَوَسَّطُ فِناءَها بِرْكَةٌ مِنَ الْماءِ الصّافي الرَّقْراقِ. وَجاءَتْهُ نَسَماتٌ عابِقَةٌ بِرائِحَةِ زَهَرِ الْبُرْتُقالِ. وَرَأى حَوْلَ فِناءِ الدّارِ بِناءً مُدْهِشًا مَرْفوعًا عَلى أَعْمِدَةٍ مَنْقوشَةٍ وَأَقْواسٍ تَأْتَلِقُ بِالزَّخْرَفَةِ.

أَخَذَ الْعَجوزُ إبْراهيمَ إلى قاعَةٍ فَسيحَةٍ عَليلَةِ الْهَواءِ ، وَقالَ لَهُ : « سَأُطْلِعُكَ عَلى أَمْرٍ . أَنا أَعيشُ هُنا مَعَ عَشَرَةٍ مِنَ الْمُسِنّينَ . سَنُعْطيكَ الْعَمَلَ ، لٰكِنْ عَلَيْكَ أَوَّلًا أَنْ تَعِدَ وَعْدًا . »

سَأَلَ إبْراهيمُ : « ما هُوَ ؟ »

« عَلَيْكَ أَنْ تَعِدَ أَلّا تَسْأَلَ أَبَدًا عَنْ سَبَبِ تَعاسَتِنا كُلِّنا في هٰذِهِ الدّارِ ، وَأَلّا تَسْأَلَ لِمَ لا نَضْحَكُ أَوْ نَبْتَسِمُ أَبَدًا ، أَوْ لِمَ تَرى في عُيونِنا أَحْيانًا دُموعًا . »

أَعْطى إبْراهيمُ وَعْدَهُ ، وَإنْ بَدا لَهُ الْأَمْرُ عَلى شَيْءٍ مِنَ الْغَرابَةِ .





لَمْ يَكُنْ عَمَلُ إبْراهيمَ شاقًّا. كانَ عَلَيْهِ أَنْ يَعْتَنِيَ بِالْبَيْتِ وَالْحَديقَةِ، وَأَنْ يَشْتَرِيَ الْأَكْلَ وَيُعِدَّ الطَّعامَ. وَلَمْ يَكُنِ الشُّيوخُ الْمَحْزونونَ يَأْكُلونَ إلّا الْقَليلَ وَلا يَطْلُبونَ إلّا طَعامًا بَسيطًا، وَلا يَسْتَقْبِلونَ أَحَدًا.

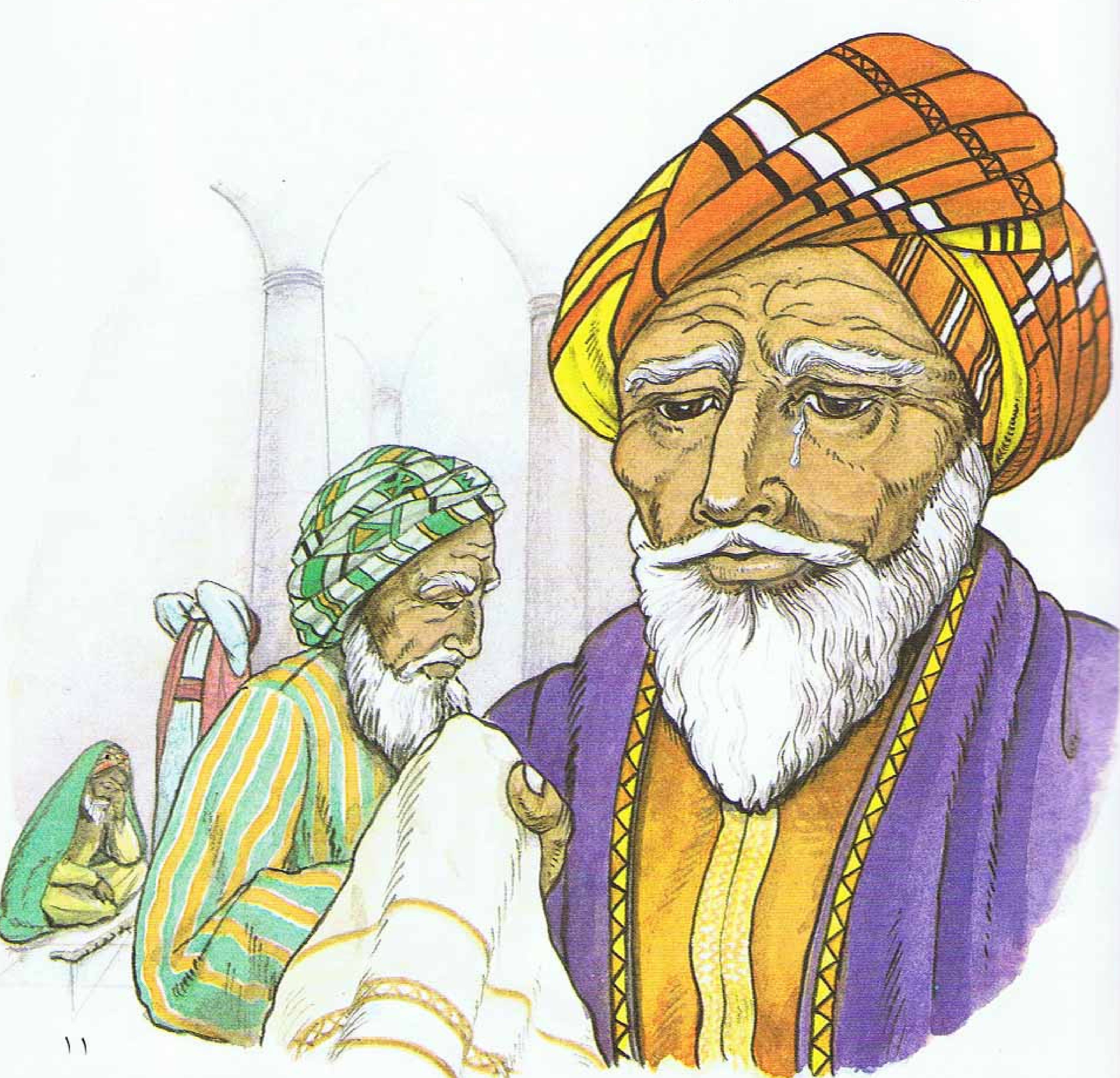
أُعْطِيَ إبْراهيمُ ثِيابًا لائِقَةً وَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ ما كانَ يَحْتاجُ إلَيْهِ مِنْ مالٍ. فَعاشَ كَأَنَّما هُوَ في مَنْزِلِهِ.

قالَ في نَفْسِهِ يَوْمًا: «ما أَجْمَلَ هٰذِهِ الدّارَ! وما أَشْبَهَها بِبَيْتِيَ الَّذي عَرَفْتُهُ طِفْلًا! فَما أَسْعَدَني!»

لَمْ يَنْجَحْ إبْراهيمُ يَوْمًا في إسْعادِ الشُّيوخِ. فَلَقَدْ كانوا طَوالَ الْوَقْتِ يَتَأَوَّهونَ وَيَئِنّونَ وَيَبْكونَ. وَقَدْ آلَمَ ذٰلِكَ إبْراهيمَ كَثيرًا.

وَكانَ يَتَساءَلُ: «ما الَّذي يُحْزِنُهُمْ؟» لٰكِنَّهُ يَتَذَكَّرُ وَعْدَهُ، فَيَسْكُتُ.

مَرَّتِ السِّنونَ. وَماتَ الشُّيوخُ واحِدًا بَعْدَ آخَرَ. وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ حَيًّا إلّا الشَّيْخُ الَّذي قابَلَ إبْراهيمَ في السّوقِ وَعَرَضَ عَلَيْهِ الْعَمَلَ.



ثُمَّ مَرِضَ ذٰلِكَ الشَّيْخُ مَرَضًا شَديدًا ، وَظَلَّ إبْراهيمُ أَيّامًا إلى جانِبِ سَريرِهِ يُواسيهِ . قالَ الشَّيْخُ : « عِنْدَما أموتُ ، سَيَكونُ هٰذا الْبَيْتُ لَكَ . »

شَكَرَهُ إبْراهيمُ ، وَقالَ : « لَنْ أَنْسى أَبَدًا عَطْفَكَ عَلَيَّ . »

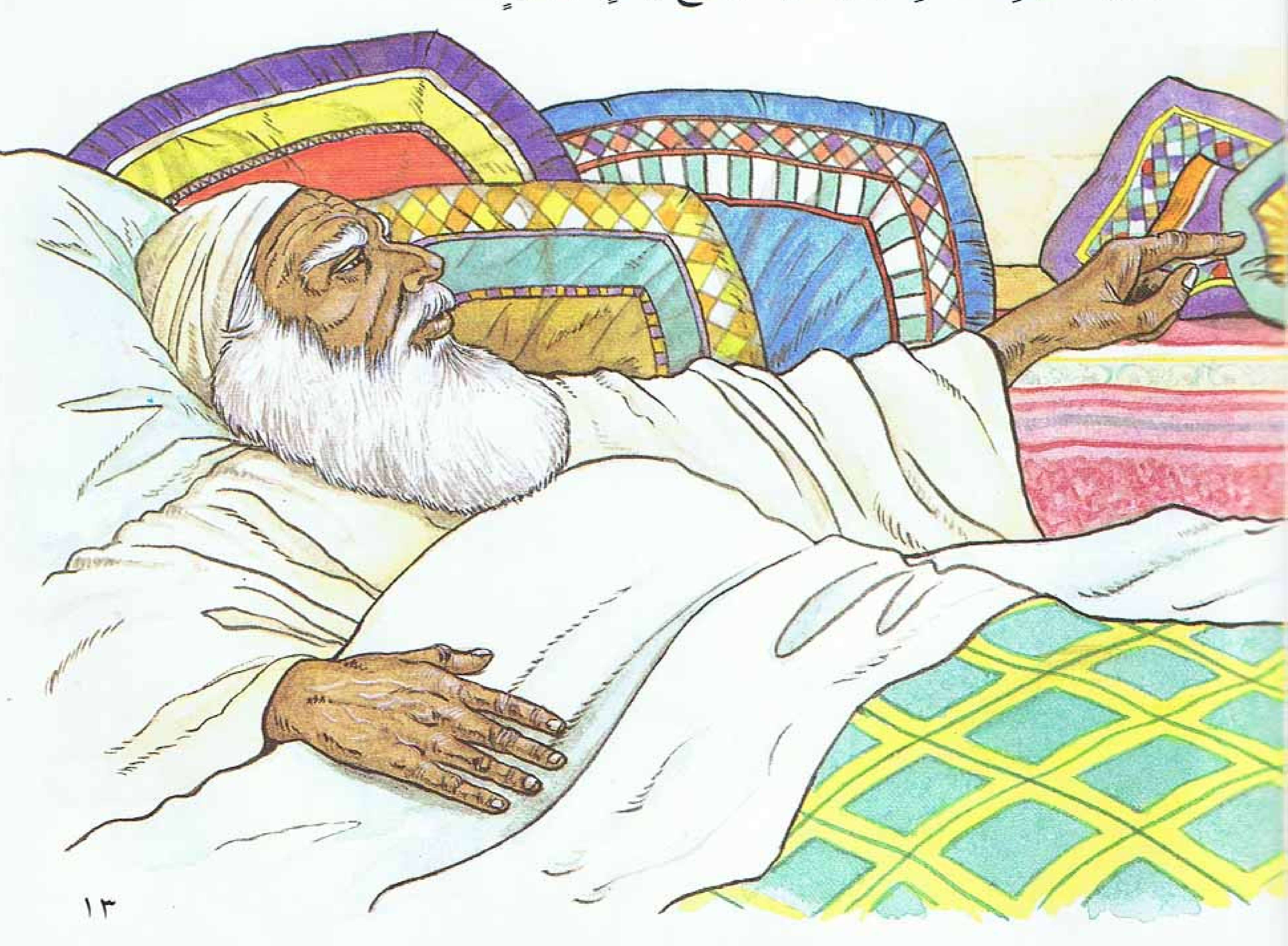


ثُمَّ قالَ: « لٰكِنَّ عِنْدي سُؤالًا واحِدًا. ما الَّذي أَحْزَنَكُمْ هٰذا الْحُزْنَ كُلَّهُ؟ »

أَجابَ الشَّيْخُ عَلى مَهَلٍ: « يا بُنَيَّ، سَأَقولُ لَكَ شَيْئًا واحِدًا فَقَطْ، لا تَفْتَحْ أَبَدًا ذٰلِكَ الْبابَ الْخَشَبِيَّ. »

اِلْتَفَتَ إِبْراهيمُ إِلى الْبابِ الَّذي أَشارَ إِلَيْهِ الشَّيْخُ، ثُمَّ عادَ وَنَظَرَ إِلى الشَّيْخِ فَوَجَدَهُ قَدْ أَسْلَمَ الرّوحَ.

ظَلَّ إِبْراهيمُ أَسابيعَ وَحيدًا في الْبَيْتِ. وَكَثيرًا ما كانَ يُفَكِّرُ في كَلِماتِ الشَّيْخِ الْأَخيرَةِ. وَكانَ يَقِفُ أَمامَ الْبابِ الْخَشَبِيِّ يَتَساءَلُ عَمّا يُمْكِنُ أَنْ يَكونَ وَراءَهُ. وَبَدا واضِحًا أَنَّ الْبابَ لَمْ يُفْتَحْ مُنْذُ أَمَدٍ بَعيدٍ، فَقَدْ كانَتْ مَزاليجُهُ الْأَرْبَعَةُ صَدِئَةً مُتَآكِلَةً، وَكَأَنَّها مَزاليجُ بَيْتٍ مَهْجورٍ.



شَغَلَ سِرُّ الْبابِ الْمَمْنوعِ إبْراهيمَ. وَلَمْ يَعُدْ يَنْقَطِعُ عَنِ التَّفْكيرِ فيهِ لَيْلًا أَوْ نَهارًا. ثُمَّ قالَ: «إذا أَنا فَتَحْتُ الْبابَ عِشْتُ تَعيسًا. لٰكِنْ إنْ لَمْ أَفْتَحْهُ فَلَنْ أَعْرِفَ السَّعادَةَ.»

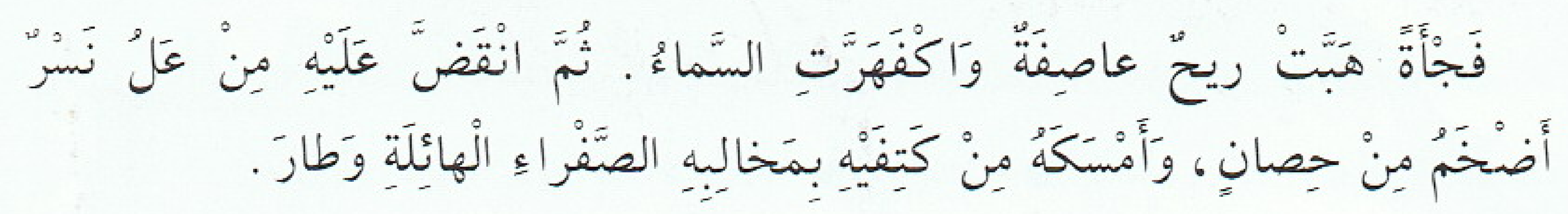
وَهٰكَذا عَزَمَ عَلى أَنْ يَفْتَحَ الْبابَ. فَجَلَبَ قَضيبًا مِنْ حَديدٍ وَراحَ يُعالِجُ الْمَزاليجَ الْحَديدِيَّةَ الْعالِقَةَ، إلى أَنْ تَمَكَّنَ أَخيرًا مِنْ فَتْحِها كُلِّها.

ثُمَّ دَفَعَ الْبابَ، فإذا أَمامَهُ مَمَرٌّ مُظْلِمٌ طَويلٌ.





مَلأَ إبْراهيمُ صَدْرَهُ هَواءً وَخَطا في الْمَمَرِّ. وَراحَ يَتَحَسَّسُ طَريقَهُ خِلالَ الظَّلامِ الشَّديدِ. وَكانَ الْمَمَرُّ يَضيقُ في بَعْضِ الْمَواضِعِ بِحَيْثُ كانَ عَلى إبْراهيمَ أَنْ يَتَقَدَّمَ زَحْفًا، فَوْقَ أَرْض رَطْبَةٍ بارِدَةٍ. رَأى إبْراهيمُ أَخيرًا ضَوْءًا يَتَسَرَّبُ مِنْ آخِرِ الْمَمَرِّ. وَوَجَدَ نَفْسَهُ فَجْأَةً عِنْدَ ضَفَّةِ نَهْرٍ. وَكانَ مُنْهَكًا مُلَطَّخًا بِالْأَوْساخِ فَجَلَسَ أَرْضًا يُفَكِّرُ في ما يَحْسُنُ بِهِ أَنْ يَفْعَلَ.



فَجْأَةً هَبَّتْ ريحٌ عاصِفَةٌ وَاكْفَهَرَّتِ السَّماءُ. ثُمَّ انْقَضَّ عَلَيْهِ مِنْ عَلُ نَسْرٌ أَضْخَمُ مِنْ حِصانٍ، وَأَمْسَكَهُ مِنْ كَتِفَيْهِ بِمَخالِبِهِ الصَّفْراءِ الْهائِلَةِ وَطارَ.



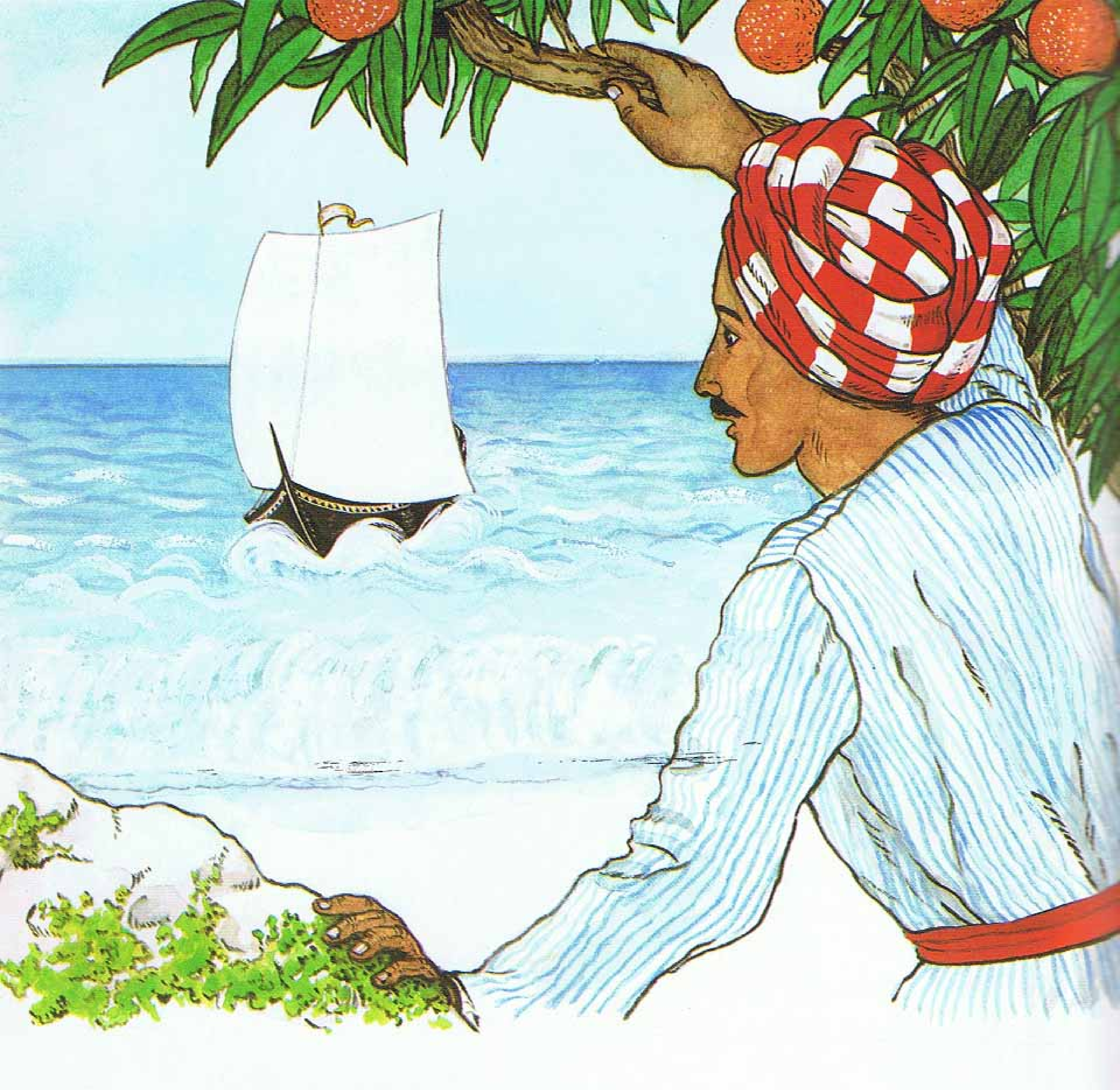
اِرْتَفَعَ النَّسْرُ بِإبْراهيمَ ارْتِفاعًا شاهِقًا، وَطارَ فَوْقَ أَنْهارٍ وَبُحَيْراتٍ وَتِلالٍ وَغاباتٍ. أَخيرًا وَصَلَ إلى بَحْرٍ فَهَبَطَ يطيرُ عَلى عُلُوٍّ مُنْخَفِضٍ، وَبَدا جَناحاهُ الهائِلانِ فَوْقَ الْماءِ الأَزْرَقِ الْعَميقِ وَكَأَنَّهُما خَيْمَتانِ سَوْداوانِ.

رَأى إبْراهيمُ في الْأُفُقِ الْبَعيدِ بُقْعَةً خَضْراءَ صَغيرَةً. فَقالَ في نَفْسِهِ:
« هٰذِهِ جَزيرَةٌ. »

تابَعَ النَّسْرُ طَيَرانَهُ إلى الْجَزيرَةِ حَتّى وَصَلَها. وَهُناكَ رَمى إبْراهيمَ أَرْضًا، وَارْتَدَّ في لَحْظَةٍ إلى الْجَوِّ وَاخْتَفى فَوْقَ الْبَحْرِ.

اِرْتَمى إبْراهيمُ فَوْقَ الْعُشْبِ، غَيْرَ قادِرٍ مِنْ خَوْفِهِ عَلى الْحَراكِ. وَكانَ مُنْهَكًا فَنامَ.

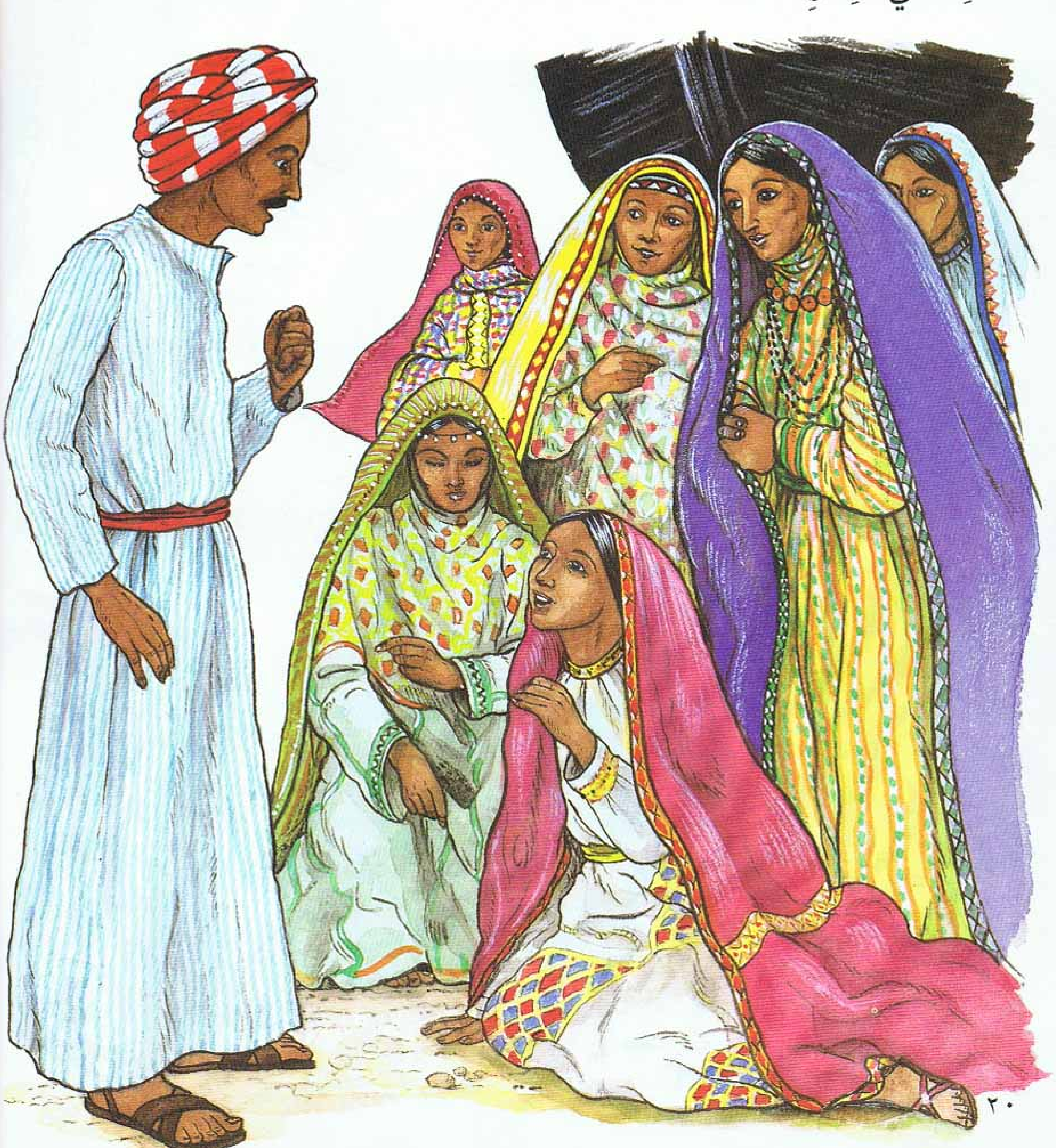




بَقِيَ نائمًا ساعاتٍ. أخيرًا اسْتَيْقَظَ فَوَقَفَ وَراحَ يَتَأَمَّلُ ما حَوْلَهُ. وَجَدَ أَزْهارًا وَأَشْجارًا مُثْمِرَةً وَعَلى بُعْدٍ، رَأى شاطِئًا رَمْلِيًّا أَبْيَضَ.

وَبَيْنَما هُوَ يَنْظُرُ إلى الْبَحْرِ رَأى سَفينَةً تَقْتَرِبُ. وَسُرْعانَ ما تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ السَّفينَةَ لَيْسَتْ كَغَيْرِها مِنَ السُّفُنِ. فَقَدْ كانَتْ مَبْنِيَّةً مِنْ خَشَبِ الآبِنوسِ الأَسْوَدِ اللَّمّاعِ وَالْعاجِ، وَمَطْلِيَّةً بِالذَّهَبِ، وَذاتَ أَشْرِعَةٍ بَيْضاءَ ناصِعَةٍ.

وَصَلَتِ السَّفينَةُ إلى الشّاطِئِ، وَنَزَلَ مِنْها عَشْرُ فَتَياتٍ، لَمْ تَقَعْ عَيْنا إبْراهيمَ عَلى أَجْمَلَ مِنْهُنَّ. وَقَفَ إبْراهيمُ مَذْهولًا، وَهُوَ يَرى الْفَتَياتِ يَأْتينَ إلَيْهِ. ثُمَّ انْحَنَتِ الْفَتَياتُ أَمامَهُ في خُضوعٍ وَحَيَّيْنَهُ قائِلاتٍ: «سَلامًا يا مَليكَنا! إنَّ الْمَلِكَةَ في انْتِظارِكَ.»





قَدَّمْنَ لَهُ ثِيابًا حَريرِيَّةً فاخِرَةً وَكَأْسًا ذَهَبِيَّةً مَلَأْنَها مِنْ ماءِ يَنْبوعٍ عَذْبٍ. ثُمَّ مَشَيْنَ بِهِ إلى السَّفينَةِ وَأَبْحَرْنَ في مِياهٍ زَرْقاءَ عَميقَةِ الْغَوْرِ.

تَواصَلَتِ الرِّحْلَةُ أَيّامًا وَلَيالِيَ، كانَتِ الْفَتَياتُ في أَثْنائِها يَعْزِفْنَ أَعْذَبَ الْأَلْحانِ وَيُغَنِّينَ أَرَقَّ الْأَغاني. وَكُنَّ يَجْلُبْنَ لِإِبْراهيمَ أَشْهى الْمَآكِلِ وَأَلَذَّ الْفاكِهَةِ.

وَكانَ إبْراهيمُ يَنامُ عَلى سَجّادٍ ناعِمٍ، يَحْلُمُ عَلى أَصْواتِ الْأَمْواجِ وَتَحْتَ قُبَّةِ سَماءٍ مُرَصَّعَةٍ بِالنُّجومِ.

أخيرًا اقْتَرَبَتِ السَّفينَةُ مِنَ الْبَرِّ. وَرَأى إبْراهيمُ شاطِئًا مُمْتَدًّا ذا رِمالٍ سَوْداءَ. ثُمَّ عَرَفَ أَنَّ ما بَدا لَهُ رِمالًا لَيْسَ إلّا مُحارِبينَ يَلْبَسونَ الدُّروعَ. وَارْتَفَعَتِ الْحَناجِرُ في تِلْكَ اللَّحْظَةِ هاتِفَةً: «عاشَ الْمَلِكُ! اَلْمَلِكُ وَصَلَ!»

نَزَلَ إبْراهيمُ مِنَ السَّفينَةِ، وَامْتَطى جَوادًا أَبْيَضَ طُعِّمَ سَرْجُهُ بِالْعاجِ وَالذَّهَبِ، وَشَقَّ طَريقَهُ بَيْنَ أَصْواتِ الْموسيقى وَقَرْعِ الطُّبولِ. وَمَشى وَراءَهُ الْجَيْشُ، وَقَدِ ارْتَفَعَتْ آلافُ الرّاياتِ تُرَفْرِفُ في الْهَواءِ.





تَوَقَّفَ الرَّكْبُ عِنْدَ وادٍ أَخْضَرَ، فإذا حَوْلَهُ جَداوِلُ وَشَلّالاتٌ وَأَشْجارٌ تَعِجُّ بِالطَّيْرِ مِنْ كُلِّ لَوْنٍ.

رَأى إبْراهيمُ عَنْ بُعْدٍ مَدينَةً كَبيرَةً، ذاتَ أَسْوارٍ عالِيَةٍ وَأَبْراجٍ وَقِبابٍ.

وَخَرَجَ مِنَ الْمَدينَةِ جَيْشٌ آخَرُ يَتَقَدَّمُهُ شابٌّ يَلْبَسُ دِرْعًا زَرَدِيَّةً لَمّاعَةً. وَعِنْدَما اقْتَرَبَ الْجَيْشُ تَرَجَّلَ قائِدُهُ الشّابُّ عَنْ جَوادِهِ، وَمَشى صَوْبَ إبْراهيمَ. اِنْحَنى الشّابّانِ أَحَدُهُما لِلآخَرِ. ثُمَّ قالَ الْقائِدُ الشّابُّ:

«تَعالَ، فَأَنْتَ ضَيْفُنا الْمُكَرَّمُ!»



تَوَجَّهَ الشّابّانِ إلى الْمَدينَةِ راكِبَيْنِ وَدَخَلا إحْدى بَوّاباتِها الضَّخْمَةِ. وَاسْتَقْبَلَتْهُما حُشودٌ مِنَ النّاسِ بِالْهُتافِ، عَبْرَ شَوارِعَ مُزَيَّنَةٍ بِالْأَزْهارِ وَمُزْدانَةٍ بِالْأَعْلامِ. وَأَخَذَ الشّابُّ إبْراهيمَ إلى الْقَصْرِ، فَصَعِدا دَرَجًا رُخامِيًّا، وَدَخَلا قاعَةً فَسيحَةً فاخِرَةً مَرْصوفَةً بِالْمَرْمَرِ وَمُزَيَّنَةً بِالْبِلَّوْرِ.

وَكانَ في آخِرِ الْقاعَةِ الْفَسيحَةِ مِنْبَرٌ مُغَطًّى بِسِتارَةٍ مُطَرَّزَةٍ فاخِرَةٍ. أُخِذَ إبْراهيمُ إلى الْمِنْبَرِ وَالْتَفَتَ يُواجِهُ النّاسَ الَّذينَ احْتَشَدوا في الْقاعَةِ.

وَقَفَ الشّابُّ إلى جانِبِهِ، وَرَفَعَ عَلى مَهْلٍ خوذَتَهُ. وَرَأى إبْراهيمُ وَجْهَهُ كامِلًا، لِأَوَّلِ مَرَّةٍ، فإذا هُوَ لَيْسَ شابًّا، وإنَّما صَبِيَّةٌ رائِعَةُ الْجَمالِ.

قالَتْ لِإبْراهيمَ: «أَنا مَلِكَةُ هٰذِهِ الْبِلادِ. وَأَنْتَ الْمَلِكُ، إذا قَبِلْتَ بي زَوْجَةً.»

كانَ إبْراهيمُ مَذْهولًا، فَلَمْ يَقْوَ إلّا عَلى الانْحِناءِ وَالْهَمْسِ قائِلًا: «نَعَمْ!»



اِسْتَدْعَتِ الْمَلِكَةُ عِنْدَئِذٍ وَزيرَها وَكِبارَ الْمَسْؤولينَ. وَدَهِشَ إبْراهيمُ حينَ رَأى أَنَّ هٰؤُلاءِ جَميعًا مِنَ النِّساءِ!

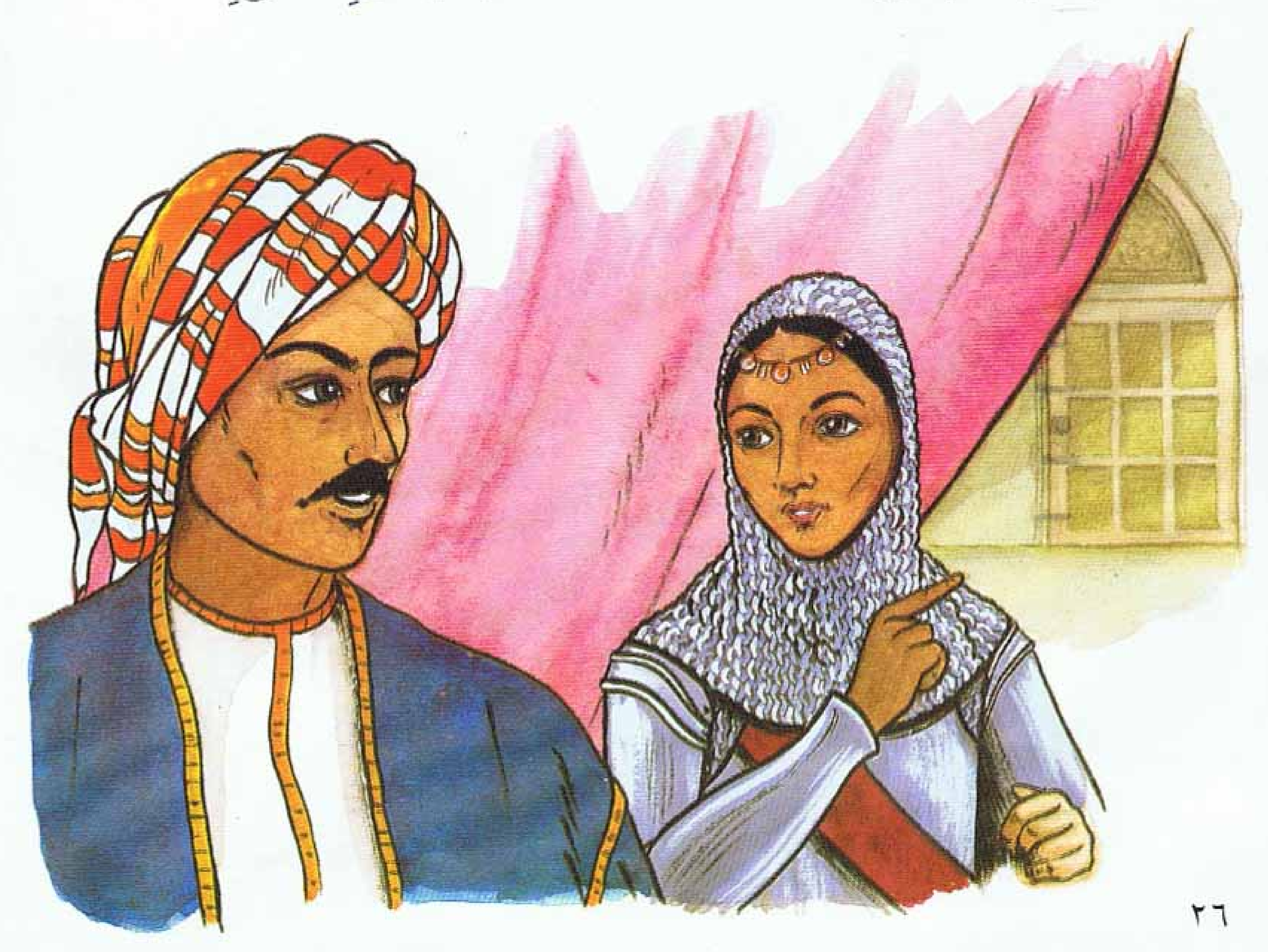
قالَتِ الْمَلِكَةُ مُوَضِّحَةً: «لَيسَ في هٰذِهِ الْبِلادِ رِجالٌ. لَيْسَ في الْجَيْشِ الَّذي رَأَيْتَهُ الْيَوْمَ رَجُلٌ واحِدٌ.» وَزادَ ذٰلِكَ في دَهْشَةِ إبْراهيمَ وَحَيْرَتِهِ.

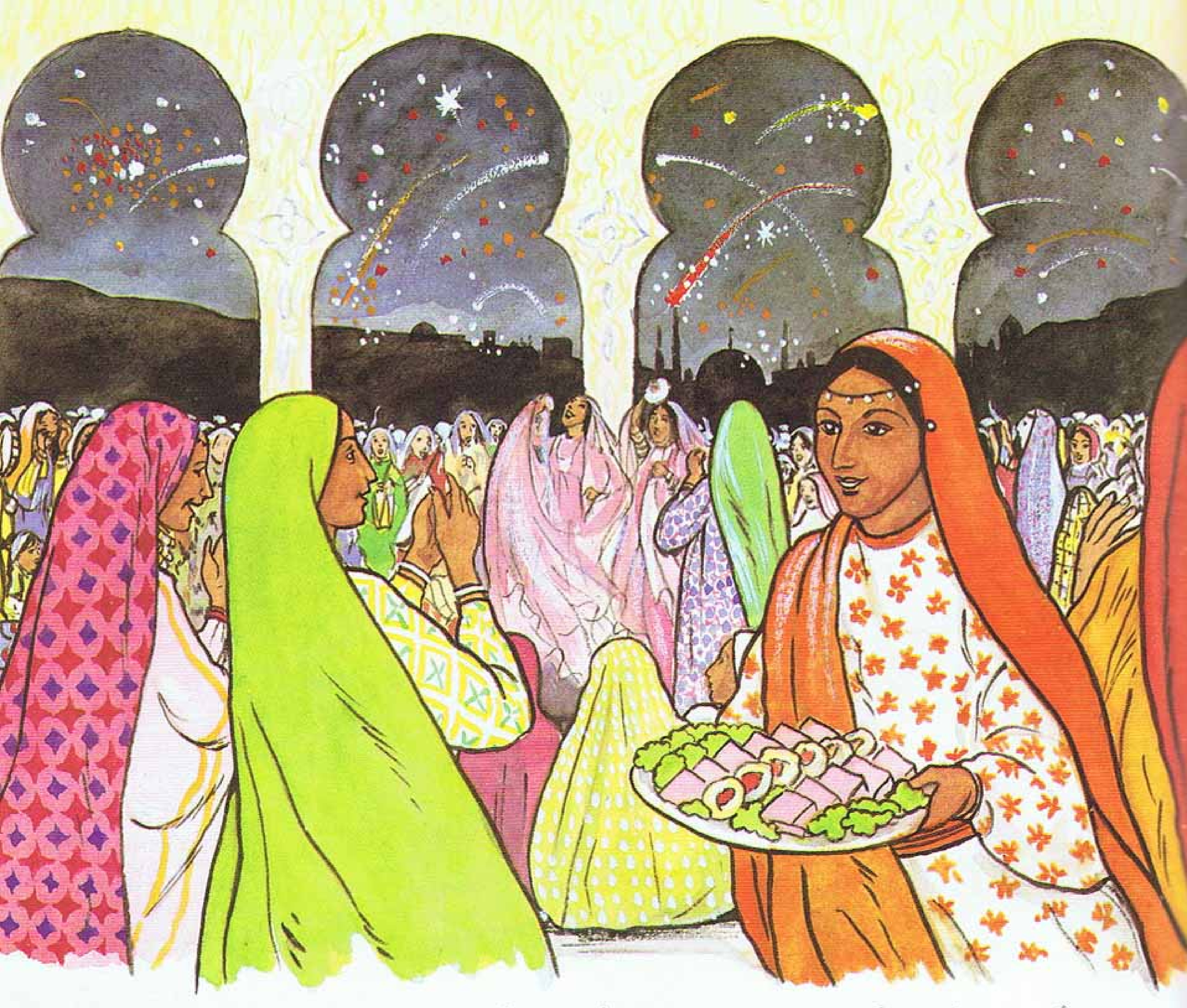
ثُمَّ تابَعَتِ الْمَلِكَةُ قائِلَةً: «سَتَنْعَمُ مَعَنا. إنَّ ثَرَواتِ الْبِلادِ كُلَّها بَيْنَ يَدَيْكَ. سَتَحْظى بِكُلِّ ما تَرْغَبُ فيهِ. لٰكِنْ عَلَيْكَ أَنْ تَعِدَ وَعْدًا.»

قالَ إبْراهيمُ: «ما هُوَ؟»

أَشارَتِ الْمَلِكَةُ إلى الطَّرَفِ الْمُقابِلِ مِنَ الْغُرْفَةِ وَقالَتْ: «عَلَيْكَ أَلّا تَفْتَحَ ذٰلِكَ الْبابَ أَبَدًا.» وَهَزَّ إبْراهيمُ رَأْسَهُ مُوافِقًا.

قالَتِ الْمَلِكَةُ عِنْدَئِذٍ: «تَعالَ! عَلَيْنا الْآنَ أَنْ نُعِدَّ لِحَفْلِ الزَّواجِ.»

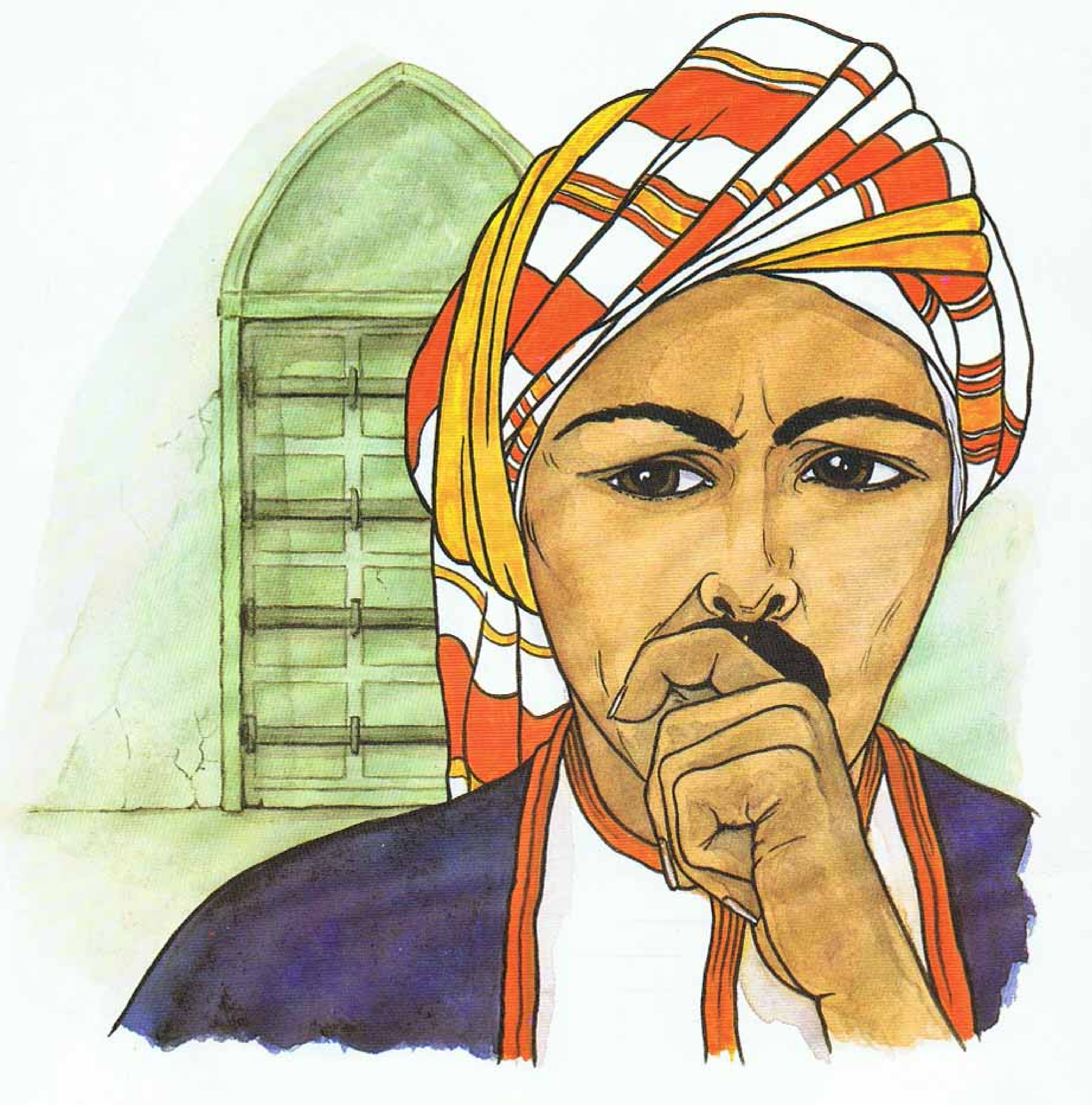




أُقيمَ حَفْلُ الزَّواجِ ، وَجاءَ السُّكّانُ مِنْ أَرْجاءِ الْمَمْلَكَةِ لِلْمُشارَكَةِ فيهِ. وَتَواصَلَتِ الْمَباهِجُ ثَلاثَةَ أَسابيعَ.

لَبِسَ السُّكّانُ أَفْخَرَ الثِّيابِ، وَامْتَدَّتِ الْمَآدِبُ، وَأُقيمَتِ الْمِهْرَجاناتُ. وَكانَ الْمَلِكُ وَالْمَلِكَةُ حَيْثُما تَوَجَّها يُسْتَقْبَلانِ بِالْهُتافِ وَالْأَزْهارِ وَالْموسيقى الرّائِعَةِ. وَتَواصَلَتِ الاِحْتِفالاتُ لَيْلًا وَنَهارًا.

لَمْ يَرُقْ لِإِبْراهيمَ أَوَّلَ الْأَمْرِ أَنْ يَكونَ الرَّجُلَ الْوَحيدَ في الْمَمْلَكَةِ. لَكِنَّ سَعادَتَهُ الْغامِرَةَ وَحُبَّهُ الْبالِغَ لِلْمَلِكَةِ أَنْسَياهُ هَواجِسَهُ.



مَرَّتِ السِّنونَ سِراعًا. وَذاتَ يَوْمٍ تَذَكَّرَ إبْراهيمُ الْبابَ الَّذي مُنِعَ مِنْ فَتْحِهِ أَوَّلَ دُخولِهِ الْقَصْرَ، فَتَوَجَّهَ إلَيْهِ.

رَأى الْبابَ مُغْلَقًا بِأَرْبَعَةِ مَزاليجَ حَديدِيَّةٍ. ثُمَّ تَذَكَّرَ إنْذارَ الْمَلِكَةِ لَهُ بِأَلّا يَفْتَحَهُ أَبَدًا، فَانْصَرَفَ.

لٰكِنَّ إبْراهيمَ لَمْ يَقْوَ على نِسْيانِ ذٰلِكَ الْبابِ. وَراحَ يَتَساءَلُ قائِلًا: «لَعَلَّ وَراءَهُ مِنَ الْكُنوزِ وَالْمَباهِجِ وَالْجَمالِ ما يَفوقُ كُلَّ ما عَرَفْتُهُ أَوْ سَمِعْتُ بِهِ.» لٰكِنَّهُ لَمْ يَجْرُؤْ عَلى فَتْحِ الْبابِ.

وَفي أَحَدِ الْأَيّامِ، وَكانَ فُضولُهُ قَدْ تَعاظَمَ وَلَمْ يَعُدْ قادِرًا عَلى مُقاوَمَتِهِ، أَزاحَ الْمَزاليجَ وَفَتَحَ الْبابَ.



فإذا أَمامَهُ النَّسْرُ الْهائِلُ الَّذي حَمَلَهُ إلى الْجَزيرَةِ. وَما هِيَ إلّا لَحْظَةٌ حَتّى كانَ النَّسْرُ قَدْ قَفَزَ إلَيْهِ وَأَمْسَكَهُ بِمَخالِبِهِ الْمُرْعِبَةِ.

وَسَمِعَ إبْراهيمُ صَوْتًا يَصيحُ قائِلًا: «أَلَنْ تَقْنَعَ أَبَدًا بِالسَّعادَةِ الَّتي بَيْنَ يَدَيْكَ، يا إبْراهيمُ»؟ ثُمَّ حَمَلَهُ النَّسْرُ وَطارَ.





طارَ بِهِ النَّسْرُ فَوْقَ الْهِضابِ وَالْجِبالِ، وَفَوْقَ الْبَحْرِ الْأَزْرَقِ الْعميقِ الْغَوْرِ. وَلَمْ يَرَ إبْراهيمُ شَيْئًا، فَقَدْ كانَتْ عَيْناهُ مَمْلوءَتَيْنِ بِالدُّموعِ.

حَمَلَ النَّسْرُ إبْراهيمَ ساعاتٍ. وَفَجْأَةً هَبَطَ بِهِ مِنَ السَّماءِ، وَرَماهُ عِنْدَ ضَفَّةِ نَهْرٍ قَريبًا مِنْ فُتْحَةِ كَهْفٍ. وَعَرَفَ إبْراهيمُ أَنَّ ذٰلِكَ هُوَ الْمَمَرُّ الَّذي يَقودُ إلى مَنْزِلِ الشُّيوخِ الْمَحْزونينَ.

جَلَسَ إبْراهيمُ عِنْدَ النَّهْرِ أيّامًا، يُراوِدُهُ أَمَلٌ بِأَنْ يُعادَ إلى الْمَلِكَةِ. لٰكِنَّهُ كانَ في قَرارَةِ نَفْسِهِ يَعْلَمُ أَنَّ ذٰلِكَ مُسْتَحيلٌ.

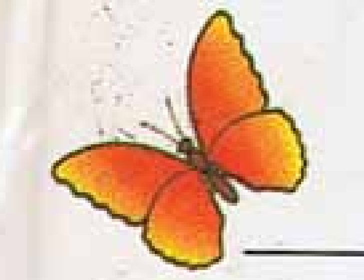
أَخيرًا نَهَضَ، وَدَخَلَ الْمَمَرَّ الْمُظْلِمَ، وَمَشى بِبُطْءٍ إلى مَنْزِلِ الشُّيوخِ. وَهٰكَذا عاشَ بَقِيَّةَ حَياتِهِ لا يَضْحَكُ أَبَدًا وَلا يُكَلِّمُ أَحَدًا.



كتب الفراشة - حكايات محبوبة

مَكتبة لبنان ناشِرون ش.م.ل.
زقاق البلاط - ص.ب: ١١-٩٢٣٢
بيروت، لبنان

الطبعة الأولى، ١٩٩٤
طُبع في لبنان
رقم الكتاب 01 C 195003



كتب الفراشة

حكايات محبوبة ـ ٢ الباب الممنوع

في **كُتُبِ الفَراشَةِ** سَلاسِلُ تَتَناوَلُ أَلْوانًا مِنَ المَوْضوعاتِ في العُلومِ المُبَسَّطَةِ والأَدَبِ القَصَصِيِّ والحَضاراتِ. ويُراعى فيها سِنُّ القارِئِ، مادَّةً وأُسْلوبًا وإخْراجًا.

كُتُبُ الفَراشَةِ تَمْتازُ بِالتَّشْويقِ الشَّديدِ، وبِرُسوم مُلَوَّنَةٍ بَديعَةٍ، وبِمَعارِفَ جديدَةٍ قَريبَةِ المُتَناوَلِ، وبِلُغَةٍ عَرَبِيَّةٍ صافِيَةٍ وواضِحَةٍ. إنَّها كُتُبُ مُطالَعَةٍ مُمْتازَةٌ.



مكتبة لبنان ناشرون